الكتاب الثانى

قضية الانتحال فى الشعر الجاهلى

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

ظاهرة الانتحال فى الآداب الأوربية

إن مشكلة الشك فى التراث الأدبى القديم ، ليست مقصورة على الشعر العربى فحسب ، ولكننا قرأنا عن هذا الشك فى الكثير من الآداب العالمية القديمة وبخاصة التراث الأغريقى . وآداب عصر النهضة فى أوروبا (شكسبير) بل العصر الحديث .

شك بعض النقاد فى وجود هومير ، وزعموا أنه شخصية خرافية لا وجود لها ، وزعم ناقد وهو «بروكلس» أن جميع المدن اليونانية ادعت انه منها(١) .

وكما اختلف النقاد فى ميلاد هومير وموطنه ووجوده ، أثاروا الجدل حول ملحمتيه ، وعرفت هذه المناقشات بالمشكلة الهومرية .

ورأى «سكاليجر» ان ملحمة الالياذة ليست من وضع شاعر واحد ، واتفق مع سكاليجر نقاد القرنين السابع والثامن عشر ، وفى ذات الوقت شك بعض النقاد فى رأى هذا الفريق .

وفى عام ١٧٩٥ نرى الناقد الالمانى «فردريك» يزعم ان الالياذة من تأليف أكثر من شاعر ، وان هومير وضع الجزء الأكبر ، ويبرر فردريك رأيه بأن الكتابة لم تكن منتشرة فى ذلك الوقت وان العقل البشرى يعجز عن

---

(١) ارجع إلى :

أ - مصطفى عمر : دراسات فى النقد الأدبى ص ٦٩ - ٧١ .

ب - محمد صقر خفاجة : تاريخ الأدب اليونانى ص ٣٨ - ٤٣ .

C - R. C. Jepp - Homer. Introduction to Iliad and tha odysscy.

D - W.D. Geddes : Tha Problem of tha Homeric Poems .

E - C.H. Bowra : Tradition and Design The Ilied .

F - Thomas W. Allen - Homer : Tha origins and tha transmission .

استيعاب ملحمة الالياذة بثقلها حيث تتكون من خمسة عشر الف وخمسمائة وسبعة وثلاثين بيتا .

وأخيرا اثبت البرت البلچيكى بالأدلة اللغوية والتاريخية ان الالياذة من نظم هومير وحده .

ومثلما اختلفت آراء النقاد فى الالياذة ، افترقت بهم السبل فى الأوديسا ، وأنكر الكثير منهم أنها من نظم هومير . وحجتهم فى هذا أن لغة الإلياذة أقدم ، وأنها تختلف عن لغة الأوديسا فى نهايات الاعراب ، وفى بعض المفردات ، والمعلومات الجغرافية أقل دقة[١] .

وانتهت هذه الآراء مع القرن العشرين ، حيث ذكر نقاده أن هومير هو الذى قام وحده بتأليف ملحمتى الالياذة والأوديسا .

ولم تكن هذه القضية مقصورة على الأدب القديم فحسب ، بل تجاوزته إلى آداب عصر البعث فى أوروبا والعصر الحديث ، ورأينا النقاد فى الفترة مابين القرنين الثامن عشر والعشرين ينكرون شخصية شكسبير ، وزعم البعض أنه شخصية خرافية لا وجود لها .

ورأى نفر آخر ان أعمال شكسبير ليست من تأليفه ، وانما هى من نظم شاعر آخر مغمور ، ونسبها شكسبير إلى نفسه .

وقال البعض الآخر ، انها من تأليف أديب آخر ، ثم أضاف اليها شكسبير بعض أشعاره ونسبها اليه .

وارتاب النقاد ومؤرخو الأدب وبخاصة فى أمريكا فى حقيقة شكسبير ، وشكوا فى الأعمال المنسوبة اليه . وراح هؤلاء الذين ينكرونه يحطون من

---

(١) محمد صقر خفاجه : تاريخ الأدب اليونانى ص ٣٨ .

شخصيته ، وهم يزعمون أنه ضحل التفكير ، بليد الاحساس ، عى الشعور ، وضيع النشأة ، لم ينل حظا كبيرا من الثقافة والتعليم ، عانى شظف الحياة ومرها ، ولا ينتمى إلى نسب رفيع وهو أيضا فقير معدم .

وتأسيسا على هذا ، فهم يقولون إن انسانا هذا تكوينه ونشبته ، وتلك حياته ونشأته ، ليس بمقدوره أن ينتج هذه الروائع ، لأنها تكشف عن دراية صاحبها بالفلسفة والقانون ، وما كان شكسبير بالقانونى ، كما توضح مسرحياته بأن مؤلفها لابد وأن يكون أورستقراطى البيئة ، بينما خرج شكسبير من عامة الشعب ، ويضيفون بأن هذه الأعمال من تأليف الفيلسوف «بيكون» الذى شغل أذهان الناس[١] .

ونرى أن حجج هؤلاء الذين شكوا فى شكسبير وأعماله ، حجج واهية لا ترتكز على الأسانيد المتينة والعلل المنطقية .

وظاهرة الدراية بالقانون والفلسفة كانت سائدة فى العصر الاليزابيثى بين جميع الأدباء ، ولم تكن مقصورة على بيكون وحده ، كما أن وجود هذه الظاهرة القانونية ، أو الاستشهاد بأمثلة فلسفية ، لا يعنى بالضرورة أن يكون صاحب هذه الأعمال بالقانونى أو الفيلسوف . لقد كانت خاصية شائعة بين شعراء عهد اليزابيث ، وتناقلها الكثير منهم ، واذا نحن واكبنا هؤلاء فى رأيهم لأنكرنا الكثير من أدباء العصر ، لأن أعمالهم تكشف عن معرفة بالقانون والفلسفة .

---

(١) ارجع إلى :

A - W.A. Nelson and A.H. The facts about Shakespeare .

B - E.K. Chanbers : William Shakespear, A study of facts and proplems .

C - Chamber's Journal, 7 August 1852.

D - Pulnam's Monthly, January.

وبينما يصرح خصوم شكسبير بأن مسرحياته تكشف عن دراية واسعة بالقانون والفنون والفلسفة ، يتهمه شاعر[١] آخر معاصر له بالنقص فى الثقافة والتعليم .

أما زعم هؤلاء الذى يقول بأن أعماله لا تصدر الا عن عقلية أورستقراطية وتميز صاحبها فى مهده وطفولته بالرفاهية والثراء ، فهو الآخر زعم فيه تجاوز .

وهل يعنى هؤلاء الرافضون أن أمثال هذه الأعمال مقصورة على الأدباء الاورستقراطيين الذين عاشوا فى بذخ ورخاء فقط ! ؟ .

قد تلعب الظروف الاجتماعية والبيئية دورا فى أعمال الأديب ، وقد تترك انعكاساتها على أعماله ، لكنها ليست بالضرورة تمثل كل مقوماته وعوامل نجاحه .

وانت واجد ان مسرحيات شكسبير لم تحتو على الشخصيات الاورستقراطية فحسب ، وانما هى عالم مزدحم من الشخصيات ، وبلغت شخصيات رواياته المسرحية اكثر من ألفى شخصية من بينها الملوك والامراء والقواد وأصحاب الحرف والجنود وغيرهم .

ونضيف بأن تجسيد الملوك والامراء والقواد على خشبة المسرح ، كانت من خصائص المسرح الاليزابيثى فى ذلك العهد ، فقد كانت الفترة تمثل عصر الملوك والامراء ، وكانت هذه السمة شائعة بين جميع الشعراء والأدباء .

---

(١) هو الشاعر «بن جونسون» .

ولهذا ، فاننا نرفض مزاعم هؤلاء الرافضين ، وحجتنا ما ذكرناه من مبررات ، يدعمها رثاء بن جونسون له وكان من الشعراء المعاصرين لشكسبير ونقد الكثير من انتاجه .

ولم يقتصر الوضع على العصرين القديم والبعث ، فحسب ، وانما انتقل إلى العصر الحديث الذى نحياه برغم تقدم الحضارة ، ويتجسد النحل بخاصة فى الأعمال التى تترجم إلى لغات أخرى ، فكثيرا مانجد المترجمين يضيفون من عندهم ماتجود به قرائحهم ، وفى بعض الأحيان يحذفون بعض الصفحات من النص الأصلى ، بل وصل الانتحال عند نفر من المترجمين إلى حد نراهم فيه ينسبون الأعمال التى ترجموها إلى أنفسهم ويزعمون أنها من تأليفهم .

وبرغم انتشار هذه الظاهرة فى العصر الذى نحياه ، وبرغم ان البعض ينسبون الأعمال إلى أنفسهم .

أقول برغم هذا كله ، لم نجد النقاد يثيرون الآراء حولها ، مثلما أثاروا المناقشات حول قضية النحل والوضع فى الشعر الجاهلى وهومير وشكسبير .